محبّة الرّسول – صلّى الله عليه وسلّم – لأمّته

(خطبة جمعة 9 من صفر 1435هـــ الموافق لـــ 10 جانفي 2014م

لفضيلة الشّيخ عبد الحق شطّاب – حفظه الله –

بمسجد الشّيخ أحمد حفيظ – رحمه الله –)

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفُسِنا ومن سيِّئات أعمالِنا،

" . . . مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴿17﴾ " سورة الكهف.

أشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أنّ مُحمّدًا عبدُه ورسوله،

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿01﴾ "سورة النّساء.

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ

﴿102﴾ " سورة آل عمران.

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿70﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا

﴿71﴾ "سورة الأحزاب.

ألا وإنّ أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ - صلّى الله عليه وآله وسلّم - ،

وشرّ الأمور مُحدثاتها، وكلّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلّ بدعةٍ ضلالةٌ، أعاذنا الله من الزّيغ والضّلال،

معاشر الإخوة الكرام، حديثنا في هذه الجمعة المباركة:

محبّة رسول الله – عليه الصّلاة والسّلام – لأمّته، ومحبّة الصّحابة – رضوان الله تعالى عليهم – لنبيّهم – عليه الصّلاة والسّلام –

من أحبّ شخصًا رحمه، ورأف به، وخفّف عنه، واهتمّ لحاله، وعزّ عليه فراقه، فلننظر إلى رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – كيف كان يحبّ أمّته، لقد وصف الله تعالى نبيّه بأعظم الأوصاف الّتي تدلّ على رحمته بأمّته وحرصه عليها، فقال سبحانه:

" لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿128﴾ " **سورة التّوبة.**

وهذا الحرص النّبويّ للنّاس عامّةً ولأمّته خاصّةً نابعٌ من شفقته ورحمته، فَمِنْ نِعَمِ الله علينا جميعًا بَعْثُهُ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – :

" وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿107﴾ " **سورة الأنبياء.**

" عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ " أي يعزّ عليه الشّيء الّذي يشقّ على أمّته.

" **حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ** " أي على هدايتكم ووصول النّفع الدّنيوي والأخروي إليكم.

ولسيرة النّبيّ - صلّى الله عليه وسلّم – صورٌ كثيرةٌ، فريدةٌ من نوعها، لحرصه الشّديد على أمّته للهداية، وشفقته عليها، والتّيسير عليها رجاء دخول الجنّة.

وقد ظهر حرص النّبيّ - صلّى الله عليه وسلّم – على أمّته منذ بداية الدّعوة، حين أمر أصحابه بالهجرة فرارًا بدينهم، لما رأى ما أصابهم من الأذى، وأنّه لا يقدر على دفع ذلك عنهم، فقال: (**لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإنّ بها مَلِكًا لا يُظلم عنده أحدٌ، وهي أرض صِدْقٍ، حتّى يجعل الله لكم فرجًا ممّا أنتم فيه**) رواه البيهقي.

ومن صور حرصه وخوفه على أمّته من النّار، ورغبته في دخولها الجنّة، روى مسلمٌ عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال: { **قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – : (أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنّة؟)** }،

قال: { فكبّرنا، ثمّ قال: (أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنّة)}،

قال: { فكبّرنا، ثمّ قال: (إنّي لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنّة، وسأخبركم عن ذلك، ما المسلمون في الكفّار إلاّ كشعرةٍ بيضاء في ثورٍ أسود، أو كشعرةٍ سوداء في ثورٍ أبيض) }.

ومن مظاهر حرصه ورحمته بأمّته، أنّه ضحّى يوم العيد الأضحى عن نفسه وعن من لم يُضَحِّ من أمّته.

روى ابن ماجة عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: (**ضحّى رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – بِكَبْشَيْنِ أَقْرَنَيْنِ أَمْلَحَيْنِ، أحدهما عنه وعن أهل بيته، والآخر عنه وعن من لم يُضَحِّ من أمّته**).

وقد سأل الله تعالى التّخفيف في قصّة الإسراء والمعراج عند فرضيّة الصّلاة، حتّى أوصلها إلى خمسة صلواتٍ في الأداء وخمسين في الأجر، خشية أن لا تقوى أمّته على الأداء.

ولقد كان – صلّى الله عليه وسلّم – يعرض عن بعض الأعمال والعبادات رغم حُبِّهِ لها، لا لشيءٍ إلاّ لخوفه أن تفرض على أمّته فيشقّ عليهم، روى البخاري عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: (**إن كان رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – ليدع العمل، وهو يحبّ أن يعمل به، خشية أن يعمل به النّاس فيفرض عليهم**)، وقوله – صلّى الله عليه وسلّم – : (**لولا أن أشقّ على أمّتي، لأمرتكم بالسّواك عند كلّ صلاةٍ**).

وكان حريصًا على نجاة أمّته في هذه الدّنيا، فقد روى مسلمٌ عن سعدٍ بن أبي وقّاص – رضي الله عنه – ، أنّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – قال: (**سألت ربّي ثلاثًا، فأعطاني ثنتين، ومنعني واحدةً، سألت ربّي أن لا يُهْلِكَ أمّتي بالسَّنَةِ فأعطانيها، وسألته أن لا يُهْلِكَ أمّتي بالغرق فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها**).

ومن المواقف الّتي تبيّن محبّة رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – لنا أشدّ المحبّة، ما رواه مسلمٌ عن عبد الله بن عمروٍ – رضي الله عنه – ، أنّ النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – تلا قول الله تعالى في إبراهيم – عليه السّلام – :

" رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿36﴾ " **سورة إبراهيم.**

وقال عيسى – عليه السّلام – :

" إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿118﴾ " **سورة المائدة.**

فرفع يديه وقال: (**اللّهمّ أمّتي، أمّتي**) وبكى، فقال الله عزّ وجلّ: (**يا جبريل، اذهب إلى محمّدٍ، وربّك أعلم، فَسَلْهُ ما يبكيك؟**)، فأتاه جبريل، فسأله فأخبره – صلّى الله عليه وسلّم – بما قال، وهو أعلم، فقال الله: (**يا جبريل، اذهب إلى محمّدٍ، فقل إنّا سنرضيك في أمّتك ولا نسوؤك**).

ولذلك خبّأ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – دعوته لأمّته إلى يوم القيامة.

فقد روى البخاري عن إبي هريرة – رضي الله عنه – قال: { **قال – صلّى الله عليه وسلّم – : (لكلّ نبيٍّ دعوةٌ مستجابةٌ يدعو بها، وأريد أن أختبئ دعوتي شفاعةً لأمّتي في الآخرة)** }.

وانظروا معي كيف كان رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – حريصًا على إرضاء جميع صحابته – رضوان الله عليهم – ، ثبت في الصّحيح عن أنسٍ – رضي الله عنه – وفي رواية ابن اسحاق، عن أبي سعيد الخذري – رضي الله عنه – عن رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – ، أنّه لمّا قسم غنائم حنينٍ، أعطى المهاجرين، وتألّف قلوب بعض المشركين، ولم يُعْطِ الأنصار شيئًا، فوجدوا في أنفسهم، فقال قائلهم: (**وجد رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – قومه فَنَسِيَنَا**)،

وقال آخرٌ: (**غفر الله لرسول الله، يعطي قريشًا ويتركنا، وسيوفنا تقطر من دمائهم**).

فيذهب أحدهم، بل سيّد ساداتهم، سعد بن عُبَادَةَ – رضي الله عنه – إلى رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – ، وينقل المقالة إلى رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – ، فقال رسول الله: (**ما أنت؟**)،

فيقول: { **يا رسول الله، ما أنا إلاّ رجلٌ من قومي، قد أقول ما يقولون** (فهو صريحٌ نقيٌّ) }.

فقال – صلّى الله عليه وسلّم – : (**اجمعهم لي**)،

فجمعهم، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: (**يا معشر الأنصار، حديثٌ بلغني عنكم، ألم آتيكم ضُلاَّلاً فهداكم بي؟ وفقراء فأغناكم الله بي؟ وأعداءًا فألّف بين قلوبكم بي؟**)،

فيقولون: (**الله ورسوله أَمَنُّ، الله ورسوله أَمَنُّ**)،

قال: (**ألا تجيبون يا معشر الأنصار!، والله لو شئتم لَقُلْتُمْ فَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ، أتيتنا مُكَذَّبًا فصدّقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريدًا فآويناك، أَوَجَدْتُمْ يا معشر الأنصار في أنفسكم على لُعَاعَةٍ من الدّنيا تألّفت بها قلوب أقوامٍ ليسلموا، ووكّلتكم إلى إسلامكم؟، والّذي نفسي بيده! لولا الهجرة لكنت امْرَأً من الأنصار، ولو سلك النّاس شِعْبًا، وسلك الأنصار شِعْبًا، لسلكت شِعْبَ الأنصار، اللّهمّ ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار، أما ترضون أن يعود النّاس بالشّاة والبعير، وتعودون أنتم برسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – ، فوالله لما تنقلبون به خيرٌ ممّا ينقلبون به، ألا إنّكم ستلقون بعدي أثرةً، فاصبروا حتّى تلقوني على الحوض**).

فبكى القوم حتّى اخْضَلَّتْ لِحَاهُمْ بالدّموع، وهم يقولون: (**رضينا برسول الله قِسْمًا وحظًّا، رضينا برسول الله قِسْمًا وحظًّا**).

كيف لا يرضون عن رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – ؟ كيف لا يحبّون رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – ؟ وهو الّذي ما كان ليستأثر بشيءٍ دونهم، بل

كان يؤثرهم على نفسه، ففي غزوة ذات الرّقاع أشركهم في الطّعام رغم قِلَّتِهِ، وأبى أن يأكل وهم جوعى.

وفي بدرٍ كان يرتّب الجيش صفوفًا، وقام بإعادة الصّحابي سوادٍ بن غزيّة - رضي الله عنه - بالقدح،

فقال سواد: (**أوجعتني يا رسول الله**)،

فقال: (**اقتص منّي**)،

فطلب سواد كشف الرّسول بطنه، لأنّه أوجعه وهو كاشفٌ بطنه، فكشف الرّسول عن بطنه الشّريفة، فأسرع سواد فقبّلها، وسأله رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - عن موقفه هذا، فقال: (**أردت أن يكون آخر عهدي بالدّنيا إلتقاء جسمي بجسمك يا رسول الله**)، فدعا له رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - بالخير.

الصّحابة رضوان الله عليهم سيعرفون حقّ هذه المحبّة، فقد ترجموها في أُحُدٍ حين سقط ستّة صحابةٍ وهم يدافعون عن رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - بأجسامهم، منهم يزيد بن السّكن، وأبو دُجَانَةَ تَرْشُقُ السّهام في ظهره فلا يتحرّك عن رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - ، وطلحة تُضْرَبُ يده وهو يحمي بها رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - ، رضي الله عنهم أجمعين، إنّهم يحمون الهداية، إنّهم يدافعون عن الحقّ، إنهم ينصرون ويحافظون عن الرّحمة والرّأفة الّتي جاء بها رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - .

وهذا خبيبٌ - رضي الله عنه - حينما وقع أسيرًا وأرادوا قتله قال له عتبة: (**أترضى أن يكون محمّدٌ على أعواد المشنقة وأطلقك؟**)، فقال: (**والله لا أَرْضَ أن أطلق ويشاك محمّدٌ بشوكةٍ**).

حتّى قال أبو سفيان: (**ما رأيت من النّاس أحدًا يحبّ أحدًا كحبّ أصحاب محمّدٍ محمّدًا**)،

محبّةٌ شديدةٌ للنّبيّ - عليه الصّلاة والسّلام - ، كيف لا يحبّونه وقد علمتم مواقفه - عليه الصّلاة والسّلام - مع أمّته.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنّه هو الغفور الرّحيم.

الخطبة الثّانية:

الحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أحمده على نِعَمِهِ، وأشكره على فضله وامتنانه،

وأشهد أن لا إلـٰـه إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله،

صحابة رسول الله – عليه الصّلاة والسّلام – أحبّو نبيّهم حُبًّا جَمًّا، أحبّوه لأنّه هو الهداية، أحبّوه لأنّه هو الحقّ الّذي أنزله المولى تبارك وتعالى، أحبّوه لأنّه هو الطّريق إلى نور الله تبارك وتعالى، فقدّموا أنفسهم وأموالهم رخيصةً للدّفاع عن النّبيّ – عليه الصّلاة والسّلام – ، الّذي يمثّل هداية الله تبارك وتعالى، قال جلّ في علاه على لسان نبيّه:

" قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (31) " **سورة آل عمران.**

علامة حُبِّنَا لرسول الله – عليه الصّلاة والسّلام – اتّباع سيرته، سلوك سنّته، الإقتداء بالنّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – في مواقفه، في سلوكاته، لقد ترك النّبيّ – عليه الصّلاة والسّلام – الصّحابة على المحجّة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلاّ هالكٌ.

معاشر الإخوة الكرام،

روى البخاري في صحيحه عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ- رضي الله عنه – ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ فِي النَّاسِ، فَقَالَ : (**إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ ، فَاخْتَارَ ذَلِكَ الْعَبْدُ مَا عِنْدَ اللَّهِ**)، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ – رضي الله عنه – ، وعَلِمَ حينئذٍ أنّ المقصود هو رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – ، وأنّه سيفارق هذا العالم، ثمّ بعد ذلك قال: (**مُرُوا أبا بكرٍ فليصلّي بالنّاس**)،

وحينما أصاب النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – المرض، في مرض موته، لم يخرج للصّحابة قرابة عشرٍ، فحزن الصّحابة – رضوان الله عليهم – حزنًا شديدًا عليه، ولّما عَلِمَ بحزنهم، قال لعائشة – رضي الله عنها – : (**هَرِيقُوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قِرَبٍ لَمْ تُحَلَّلْ أَوْكِيَتُهُنَّ، لَعَلِّي أَعْهَدُ إِلَى النَّاسِ**)،

فنشط النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – ، فخرج للصّحابة – رضي الله عنهم – لينظر في وجوههم الكريمة، وهو يتّكئ على عليٍّ وعمّه العبّاس – رضي الله عنهما – ، وقد عصّب رأسه من شدّة مرضه، ثمّ دخل بعد ذلك بيته، فاشتدّ عليه المرض، فدخل عليه ابن مسعود – رضي الله عنه – ، وقال: (**يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا**)،

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : (**إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ**)،

وروى البخاري في صحيحه، **عن أنسٍ بن مالكٍ الأنصاريّ – رضي الله عنه – ، أنّ أبا بكرٍ الصّدّيق – رضي الله عنه – كان يصلّي لهم في وجع النّبيّ**

– صلّى الله عليه وسلّم – الّذي توفّي فيه، حتّى إذا كان يوم الاثنين وهم صفوفٌ في الصّلاة، فكشف النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – ستر الحجرة ينظر إلينا، وهو قائمٌ كأنّ وجهه ورقة مصحفٍ، ثمّ تبسّم يضحك، فَهَمَمْنَا أن نفتتن من الفرح برؤية النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – ، فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصّف، وظنّ أنّ النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – خارجٌ إلى الصّلاة، فأشار إلينا النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – أن أتمّوا صلاتكم وأرخى السّتر،

إنّ النّبيّ – عليه الصّلاة والسّلام – أراد أن يلقي نظرةً أخيرةً على جيل الصّحابة – رضوان الله عليهم – ، وقد أمّهم أبو بكرٍ الصّدّيق – رضي الله عنه – ، ووراءه خيرة الصّحابة، وقد استحضر النّبيّ – عليه الصّلاة والسّلام – تلك المسيرة الطّويلة مع أولئك الصّفوة وخيرة الرّجال، الّذين ساروا معه من مكّة إلى المدينة، وخاضوا معه الغزوات، دماءٌ أُرِيقَتْ، ودموعٌ سالت، وفارق في ذلك الأحباب والأقارب والأصحاب، وقد تبسّم واطمأنّ ، ثمّ رجع إلى بيته، فاتّكأ على صدر عائشة – رضي الله عنها – ، ثمّ بعد ذلك رفع يديه للسّماء وقال: (**إنّ للموت لسكراتٌ، إنّ للموت لسكراتٌ، إنّ للموت لسكراتٌ**)،

ثمّ التحق بالرّفيق الأعلى، صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم تسليمًا كثيرًا.

اللّهمّ أهدِنا فيمن هديْت، وعافِنا فيمن عافيْت، وقِنا شرّ ما قضيْت،

اللّهمّ لا تَدَعْ لنا في مَقامِنا هذا ذنبًا إلاّ غفرته، ولا دَيْـنـًا إلاّ قضيْته، ولا مريضًا إلاّ شفيْته، ولا حاجةً من حوائج الدّنيا أو الآخرة لك فيها رضًا ولنا فيها صلاحاً إلاّ قَضيْتها ويَسَّرتَها لنا، يا أرحم الرّاحمين،

اللّهم إنّا نسألك فِعل الخَيْرات، وتَرْك المنكرات، وحُبّ المساكين، وإذا أردت بِقَوْمٍ فِتنةً، فتَوَفَّنا غير فاتنين ولامفتونين،

اللّهمّ إنّا نسألك حُبَّك وحبّ من أحبّك، وحبّ كلّ عملٍ يُقرِّبنا إلى حبّك،

اللّهمّ اجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيّامنا يوم لِقاك،

اللّهمّ لا تأخذنا على حين غِرّةٍ، ولا على حين غفلةٍ،

اللّهمّ إنّك عفوٌّ تحبّ العَفْوَ فَاعْفُ عنّا،

اللّهمّ إنّك عفوٌّ تحبّ العَفْوَ فَاعْفُ عنّا،

اللّهمّ انصر الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، واخذُل ودمِّر أعداء الدّين في مشارق الأرض ومغاربها،

اللّهمّ فرّج كربة السّوريّين،

اللّهمّ فرّج محنة السّوريّين،

اللّهمّ فرّج كربة و محنة المصريّين،

اللّهمّ فرّج كربة الفلسطينيين،

إنّك على كلّ شيءٍ قديرٌ، وبالإجابة جديرٌ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين،

سبحانك اللّهمّ وبحمدك، أشهد أن لا إلــٰـه إلاّ أنت، نستغفرك ونتوب إليك.